تفسير

سورة البقرة

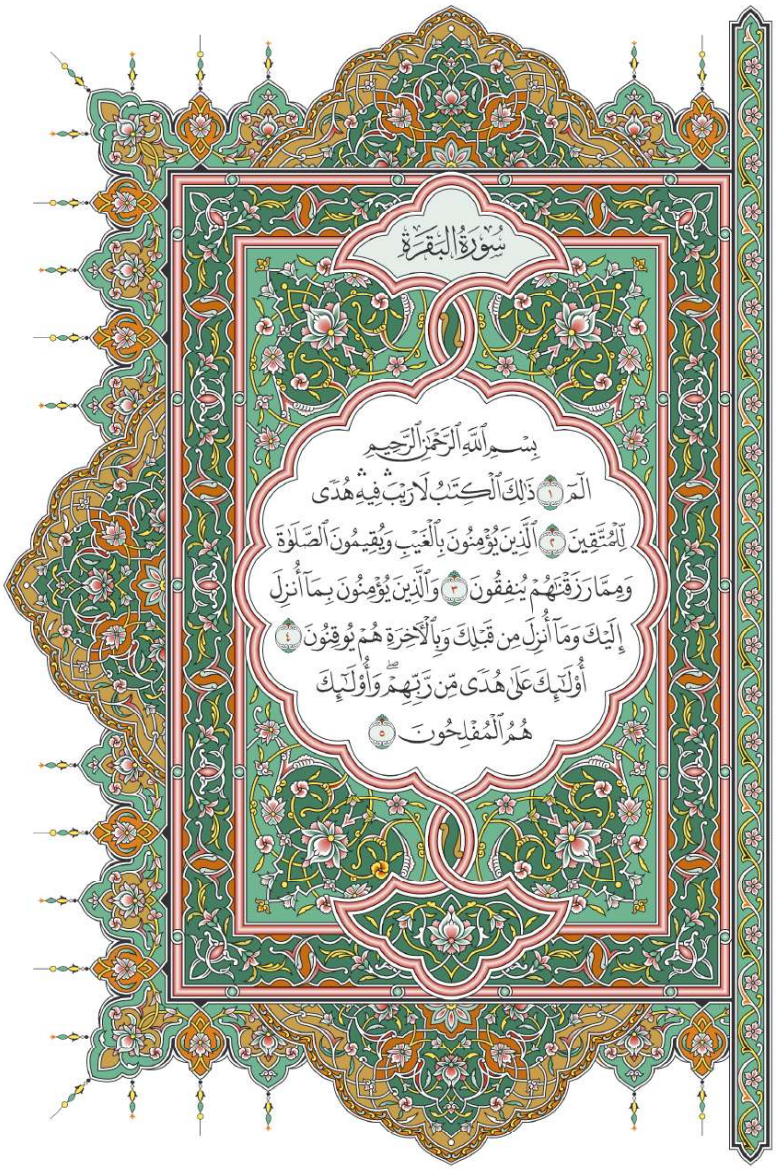

تفسير كلّ آية بجملة [1]

﴿١﴾ - ألف، لام، ميم: هذه حروف ابتدأ الله سبحانه وتعالى بها ليشير بها إلى إعجاز القرآن الكريم المؤلّف من حروف كالحروف التي يؤلّف منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل آية من القرآن، وهي مع ذلك تنطوي على التّنبيه للاستماع لتميّز جَرْسِها.

﴿٢﴾ - هذا هو الكتاب الكامل وهو القرآن الذي نزّلناه فلا يرتاب عاقل منصف في كونه من عند الله، ولا في صدق ما اشتمل عليه من حقائق وأحكام، وفيه الهداية الكاملة للّذين يطلبون الحقّ، ويرغبون بتفادي الضّرر وأسباب العقاب.

﴿٣﴾ - هؤلاء هم الذين يصدّقون - في حزم وإذعان - بما غاب عنهم، ويعتقدون فيما وراء المحسوس كالملائكة واليوم الآخر، لأنّ أساس التّديّن هو الإيمان بالغيب، ويؤدّون الصّلاة بتوجّه إلى الله وخشوع حقيقيّ له، والذين ينفقون جانبًا ممّا رزقهم الله به في وجوه الخير والبرّ.

﴿٤﴾ - الذين يصدّقون بالقرآن المنزّل عليك من الله، وبما فيه من أحكام وأخبار، ويعملون بمقتضاه، ويصدّقون بالكتب الإلهيّة التي نزلت على من سبقك من الأنبياء والرّسل كالتّوراة والإنجيل وغيرهما، لأنّ رسالات الله واحدة في أصولها، ويتميّزون بأنّهم يعتقدون اعتقادًا جازمًا بمجيء يوم القيامة وبما فيه من حساب وثواب وعقاب.

﴿٥﴾ - هؤلاء الموصوفون بما سبق من الصّفات، متمكّنون من أسباب الهداية الإلهيّة، مستقرّون عليها، أولئك هم وحدهم الفائزون بمطلوبهم ومرغوبهم ثوابًا لسعيهم واجتهادهم وامتثالهم الأوامر واجتنابهم النّواهي.

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة السابعة والعشرون، القاهرة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

تفسير البسملة

ذكر الإمام القُشيريّ ﷺ أربعة عشر ومائة تفسيرًا للبسملة **(بسم الله الرّحمن الرّحيم)** فكلّ بسملة في بداية السّور لها تفسير يتناسب مع السّياق العام للسّورة. فالإسم في سورة البقرة من **(بسم الله الرّحمن الرّحيم)**، مشتقّ من السّموّ، الرّفعة، والسّمة: العلامة، فسبيل من يذكر هذا الاسم أن يتّسم بظاهره بأنواع المجاهدات، ويسمو بهمّته إلى محالّ المشاهدات. فمَن عُدِمَ سمة المعاملات على ظاهره، وفقد سموّ الهمّة للمواصلات بسرائره، لم يجد لطائف الذّكر عند قالته، ولا كرائم القرب في صفاء حالته، أي كلّ من يذكر اسمًا من أسماء الله الحسنى تظهر علامة هذا الاسم على ظاهره، فمن يذكر اسم الله الكريم، يظهر الكرم على ظاهره، ومن يذكر اسم الله العفوّ، يظهر العَفْوُ على ظاهره وهكذا؛ لذلك فإنّ ذكر أسماء الله الحسنى مهمّ جدًّا، لذا يُنصح بقراءة صلاة الأسماء[1] يوميًّا ليرفع الله بها همّتك.

أسباب النزول والمناسبة

سورة البقرة مدنيّة، حتّى الآية إحدى وثمانين ومائتين وقد نزلت في منى - مكّة - في حجّة الوداع على أرجح الأقوال، وأنّ كلّ ما نزل من الآيات قبل الهجرة هو مكّي، وكلّ ما نزل بعد الهجرة هو مدنيّ. آياتها مائتان وست وثمانون، وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة.

سورة البقرة أطول سورة في القرآن، وهي كغيرها من السّور المدنيّة تُعنى بالتّشريع المنظّم لحياة المسلمين في المجتمع الجديد بالمدينة، مجتمع الدّين والدّولة معًا، فلا ينفصل أحدهما عن الآخر، وإنّما هما متلازمان تلازم الجسد والرّوح، لذا كان التّشريع المدني قائمًا على تأصيل العقيدة الإسلاميّة، ومبدأها الإيمان بالله، وبالغيب، وبأنّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، والاعتقاد الجازم بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء السّابقين، وبأنّ العمل الصّالح تَرجُمانُ ذلك الإيمان، ويتمثّل العمل بعقد صِلة الإنسان مع ربّه بواسطة الصّلاة، وبتحقيق أصول التّكافل الاجتماعيّ بواسطة الإنفاق في سبيل الله.

ويقتضي تقرير العقيدة توضيح **صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين**، لعقد مقارنة بين أهل النّجاة، وأهل الهلاك؛ كما يقتضي التّحدّث عن قدرة الله ﷻ، من بدء الخليقة وتكريم سيدنا آدم عليه السلام أبي البشر بسجود الملائكة له، وترتيب المولى ما حدث مع آدم عليه السلام وزوجه في الجنّة، ثمّ الهبوط إلى الأرض.

واستوجب التّحذير الإلهي للمؤمنين **التّحدّث بما يزيد عن ثلث هذه السّورة عن جرائم بني إسرائيل**، من الآية (٤٧ - ١٢٣)، فهم كفروا بنعمة الله، ولم يقدّروا أنّه نجّاهم من فرعون، وعبدوا العجل، وطالبوا سيدنا موسى عليه السلام بأمور تعجيزيّة على سبيل

(١) صلاةُ الأسماءِ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ولله الأسماءُ الحسنى فادعوهُ بها﴾ يا الله، يا رحمنُ، يا رحيمُ، يا ربُّ، يا مالكُ، يا حيُّ، يا قيّوم، يا عليُّ، يا عظيم، أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هو لكَ، سمّيتَ به نفسَك، أو أنزلتَهُ في كتابك، أو علّمتَهُ أحدًا من خلقِك، أو استأثرتَ به في عِلمِ الغَيْبِ عندك، يا مَن: ﴿هو الله الذي لا إله إلّا هو﴾ الرَّحْمَنُ، الرَّحيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلامُ، المُؤمِنُ، المُهَيْمِنُ، العزيزُ، الجَبّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخالِقُ، البارِئُ، المُصَوِّرُ، الغَفّارُ، القَهّارُ، الوَهّابُ، الرَّزّاقُ، الفَتّاحُ، العَليمُ، القابِضُ، الباسِطُ، الخافِضُ، الرّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّميعُ، البَصيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللطيفُ، الخَبيرُ، الحَليمُ، العَظيمُ، الغَفورُ، الشَّكورُ، العَليُّ، الكَبيرُ، الحَفيظُ، المُقيتُ، الحَسيبُ، الجَليلُ، الكَريمُ، الرَّقيبُ، المُجيبُ، الواسِعُ، الحَكيمُ، الوَدودُ، المَجيدُ، الباعِثُ، الشَّهيدُ، الحَقّ، الوَكيلُ، القَويُّ، المَتينُ، الوَليُّ، الحَميدُ، المُحْصي، المُبْدِئُ، المُعيدُ، المحْيي، المُميتُ، الحَيُّ، القَيُّوم، الواجِدُ، الماجِدُ، الواحِدُ، الأحَدُ، الصَّمَدُ، القادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأوَّلُ، الآخِرُ، الظاهِرُ، الباطِنُ، الوالي، المُتَعالي، البَرُّ، التَّوّابُ، المُنْتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّؤوفُ، مالِكُ المُلكِ ذو الجَلالِ والإكرام، المُقْسِطُ، الجامِعُ، الغَنِيُّ، المُغْني، المانِعُ، الضّارُّ، النّافِعُ، النُّورُ، الهادي، البَديعُ، الباقي، الوارِثُ، الرَّشيدُ، الصَّبورُ.

أن تُصلّي وتُسلّم على سيّدنا مُحمّدٍ، أكْمَلِ مخلوقاتِك، وسيّدِ أهلِ أرضِك وأهلِ سماواتِك، صلاةً تليقُ بكَ منكَ إليه صلاةً تُخَلِّصُني وتُحقِّقُني بأسمائِك وترزقني الفناء في ذاتك وصفاتك، مع رضوانِك ومُعافاتك، وعلى آله وصحبه، عدد أسمائِك وصفاتِك، وكمالِ ذاتِك. ولك الحمدُ يا ربِّ، حمْدَ جميع أوْلِيائِك وأنْبِيائِك، ولكَ الشُّكرُ على جميع آلائِك.

العناد والمكابرة والتّحدّي، وبالرّغم من تحقيق مطالبهم الماديّة كفروا بآيات الله، وقتلوا الأنبياء بغير حقّ، ونقضوا العهود والمواثيق، فاستحقّوا اللعنة وغضب الله عليهم وطردهم من رحمته.

ثمّ **انتقلت السّورة من خطاب أهل الكتاب إلى خطاب أهل القرآن**، بالتّذكير بما هو مشترك بين قوم سيّدنا موسى عليه السلام وقوم سيّدنا محمّد ﷺ من نسب سيّدنا إبراهيم عليه السلام، والاتّفاق على فضله، واستئصال كلّ مزاعم الخلاف على القِبلة، وبيان الأساس الأعظم للدّين وهو توحيد الألوهيّة، بتخصيص الخالق بالعبوديّة، وشكر الإله على ما أنعم به من إباحة الاستمتاع بطيّبات الرّزق، وإباحة المحرّمات حال الضّرورة؛ ثمّ أوضحت السّورة أصول التّشريع الإسلاميّ للمؤمنين به، في نطاق العبادات والمعاملات، من إقامة الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت، والجهاد في سبيل الله، وتنظيم أحكام القتال، واعتماد الأشهر القمريّة في التّوقيت الدّيني، والإنفاق في سبيل الله، لأنّه وسيلة للوقاية من الهلاك، والوصيّة للوالدين والأقربين، وبيان مستحقّي النّفقات، ومعاملة اليتامى ومخالطتهم في المعيشة، وتنظيم شؤون الأسرة في الزّواج، والطّلاق، والرّضاع، والعدّة، والإيلاء من النّساء، وعدم المؤاخذة بيمين اللّغو، وتحريم السّحر، والقتل بغير حقّ وإيجاب القصاص في القتلى، وتحريم أكل أموال النّاس بالباطل، وتحريم الخمر، والميسر، والرّبا، كذلك تحريم إتيان النّساء في المحيض، وفي غير مكان الحرث وإنجاب النّسل - أي في الدبر.

وتضمنت السّورة آية عظيمة في العقيدة والأسرار الإلهيّة، وهي آية الكرسيّ، وحذّرت من يوم القيامة الرّهيب في آخر ما نزل من القرآن، وهي آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[1].

وتضمّنت السّورة أطول آية في القرآن الكريم وهي آية الدّيْن، التي بيّنت أحكام الدّيْن من كتابة وإشهاد وشهادة وحكم النّساء والرّجال فيها، والرّهان، ووجوب أداء الأمانة، وتحريم كتمان الشّهادة.

وختمت السّورة بالتّذكير بالتّوبة، والإنابة إلى الله، وبالدّعاء العظيم المشتمل على طلب اليسر والسّماحة، ورفع الحرج والأغلال والآصار، وطلب النّصرة على الكفّار.

فالسّورة كلّها منهاج قويم للمؤمنين، ببيان أوصافهم، وأوصاف معارضيهم ومعاديهم من الكفّار والمنافقين، وتوضيح مناهج التّشريع في الحياة الخاصّة والعامّة، واللجوء في الخاتمة إلى الله، والدّعاء المستمرّ له في التّثبيت على الإيمان، والإمداد بالإحسان والفضل الإلهيّ، وتحقيق النّصر على أعداء الله والإنسانيّة. ومن توجيهات السّورة أنّ مناط السّعادة في الدّنيا والآخرة هو اتّباع الدّين، وأصول الدّين ثلاثة: الإيمانُ بالله وبرسوله ﷺ، والإيمانُ باليوم الآخر، والعمل الصّالح، والولاية العامّة يجب أن تكون لأهل الإيمان والاستقامة، والإكراهُ في الدّين ممنوع.

فضل سورة البقرة

جاء في فضلها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقَرَةُ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ﴾[2]، وعنه أيضًا قال: "بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْثًا وَهُمْ ذُو عَدَدٍ فَاسْتَقْرَأَهُمْ، فَاسْتَقْرَأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَتَى عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: ﴿مَا مَعَكَ يَا فُلَانُ؟﴾ قَالَ: مَعِي كَذَا وَكَذَا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٢) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أبي هريرة، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسيّ، حديث رقم: ٢٨٧٧، وهو حسن صحيح.

وَسُورَةُ البَقَرَةِ، قَالَ: ((أَمَعَكَ سُورَةُ البَقَرَةِ؟)) فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((فَاذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ))، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا مَنَعَنِي أَنْ أَتَعَلَّمَ سُورَةَ البَقَرَةِ إِلَّا خَشْيَةَ أَلَّا أَقُومَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا القُرْآنَ فَاقْرَؤُوهُ وَأَقْرِئُوهُ، فَإِنَّ مَثَلَ القُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا يَفُوحُ رِيحُهُ كُلَّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْقُدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ، كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِيَ عَلَى مِسْكٍ»[1]، فكلّ من حفظ سورة البقرة وفهمها وعمل بما جاء فيها نال شهادة من رسول الله ﷺ ورتبة في الدّين ومعرفة، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يحفظون خمس آيات يفهمونها ويعملون بها ثمّ ينتقلون إلى خمسٍ غيرها، وروي أنّ سيّدنا عمر رضي الله عنه لمّا حفظ سورة البقرة أوْلَمَ - أي أعدّ وليمة- على بقرة، ولا بدّ من الذّكر أنّ أغلب الصّحابة الكرام لم يحفظوا القرآن كاملًا، ولكنّهم عملوا بما جاء فيه. ومعلوم أنّ في حفظ القرآن كاملًا خيرًا كبيرًا، ومن لا يستطيعه فيكفيه كمسلم أن يحفظ ما تيَسَّر منه، وورد أيضًا في فضل "سورة البقرة وآل عمران والدّخان، وأواخر سورة الحشر، وسورة الملك، والرّحمن"، وبعض قصار السّور، مع الحرص على أن يعمل بما فيه كلّه.

عن أبي أمامةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ[2] البَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ[3]، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ[4] مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ[5]، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ[6]»[7]، وعن النّواس بن سمعان الكلابي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ[8]، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ[9] مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[10].

(١) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أبي هريرة، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسيّ، حديث رقم: ٢٨٧٦، وهو حسن.
(٢) الزهراوان: المنيرتان.
(٣) الغمامة: السحابة، والغياية: ما أظلّك من فوقك.
(٤) الفِرْق: القطعة من الشيء.
(٥) الصَوافّ: المصطفة المتضامّة.
(٦) البطلة: السّحرة، ومعنى لا تستطيعها: أي لا يمكنهم حفظها، وقيل: لا تستطيع النّفوذ في قارئها.
(٧) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي أمامة الباهليّ، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، حديث رقم: ٨٠٤.
(٨) الشرق: الشقّ.
(٩) حزقان: سربان من الطيور مصطفّان.
(١٠) رواه مسلم في صحيحه، عن النوّاس بن سمعان، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث رقم: ٨٠٥.

الآيات من 1 - 5

صفات المؤمنين وجزاء المتّقين

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.

المعنى العام

﴿الٓمٓ﴾ ذُكرت هذه الحروف في أوائل السّور بيانًا لإعجاز القرآن، وأنّ الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنّ مطالع هذه السّور مركّب من هذه الحروف المقطّعة التي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب الرّازي في تفسيره.

وقيل بأنّها من الأسرار المحجوبة. وقيل هي أسماء لله تعالى، وذهب الكثير إلى أنّها أسماء للسّور، ومجموع هذه الحروف المذكورة في أوائل السّور مع حذف المكرّر منها، وهي: أربعة عشر حرفًا، يجمعها قولك: **"نَصٌّ حكيم قاطع له سِرٌّ"**، وهي نصف الحروف الأبجديّة المؤلفة من ثمانية وعشرين حرفًا، وقد تكلّم بعضهم في هذا المقام كلامًا فقال: لا شكّ في أنّ هذه الحروف لم ينزّلها سبحانه وتعالى عبثًا ولا سدًى؛ ومن قال من الجهلة: إنّ في القرآن ما هو تعبديّ لا معنى له بالكلّيّة، فقد أخطأ خطأً كبيرًا؛ فتعيّن أنّ لها معنى في نفس الأمر، فإن صحّ لنا فيها عن المعصوم ﷺ شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقف وأصحابه الكرام من بعده وقلنا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1]، ولم يُجمع العلماء فيها على شيء معيّن، وإنّما اختلفوا، فمن ظهر لهُ بعض الأقوال بدليل فعليه اتّباعه، وإلا فالوقف حتّى يتبيّن هذا المقام؛ ولهذا كلّ سورة افتتحت بالحروف، لا بدّ أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة.

﴿الٓمٓ﴾ لقد حارت العقول في رموز الحكماء، فكيف برموز الأنبياء؟ فكيف برموز المرسلين؟ فكيف برموز سيّد المرسلين؟ فكيف يطمع أحد في إدراك حقائق رموز هي حقُّ ربّ العالمين ومفاتيح لعلوم عظيمة؟! فقد قام العلماء والحكماء بوضع رموز لبعض العلوم، كصناعة الذّهب - أي تحويل النّحاس إلى ذهب - ويُشفّر كي لا يفهمها عامّة النّاس إلا الخواصّ، كما أنّ صناعة الأدوية تُرمّز، فكلّما عظُم العلمُ عَظُمَ خَطَرُ رمزه، فلا يملك رمز إطلاق القنبلة النوويّة إلّا رئيسُ البلاد أو وزير الدفاع وما شابه. قال الصدّيق رضي الله عنه: في كلّ كتاب سرّ، وسرّ القرآن فواتح السّور، فمعرفة أسرار هذه الحروف لا يقف عليها إلا الصّفوة من أكابر الأولياء، وكلّ واحد يلمع له على قدر صفاء مشربه، وأقرب ما فيها أنّها أشياء أقسم الله بها لشرفها، فقيل: إنّها مختصرة من أسمائه تعالى، فالألف من الله، واللام من اللّطيف، والميم من المهيمن أو المجيد، الله لطيف مهيمن- فعند قراءة سورة البقرة تجد بأنّ معاني هذه الأسماء طاغية في معانيها، وقيل: من أسماء نبيّه ﷺ، فالميم مختصرة إمّا من المصطفى، ويدلّ عليه زيادة الصّاد في: ﴿الٓمٓصٓ﴾[2] أو من المرسل، ويدلّ عليه زيادة الرّاء في: ﴿الٓمٓرٰ﴾[3] و﴿الٓرٰ﴾[4] مختصرة من الرّسول؛ فكأنّ الحقّ تعالى يقول: يا أيّها المصطفى، أو يا أيّها الرّسول: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[5] أو ﴿هَٰذَا كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[6] أو غير ذلك، ويدلّ على هذا توجيه الخطاب إليه ﷺ بعد هذه الرموز، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1] مختصرة من الكافي، والهادي، والوليّ، والعالم، والصّادق، و﴿طٰهٰ﴾[2]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١.
(٣) سورة الرعد، الآية: ١.
(٤) سورة الحجر، الآية: ١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢.

من طاهر، وهو اسم من أسماء رسول الله ﷺ، ومختصرة من أسماء الله تعالى، و﴿طس﴾[٣] من يا طاهر يا سيّد، ويا محمّد في ﴿طسم﴾[٤]، إلى غير ذلك...

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

بعد أن استفتح تعالى بـ﴿الم﴾ قال: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي القرآن الذي لا يقرب ساحتَه شكّ ولا ارتياب ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ هو عين الهداية لأهل التّقى من ذوي الألباب، لأنّ فيه بيانًا وحجّة للمؤمنين، ولكلّ من طلب الهداية، فوقاه الحقّ سبحانه وتعالى من ظلمات الجهل، وبصَّره بأنوار العقل، واستخلصه بحقائق الوصل، وهذا الكتاب للأولياء وللصّادقين في طلب الحقّ هداية وضياء وشفاء، وعلى الأعداء عمًى وبلاء؛ لأنّهم طلبوا به ما يوافق هواهم فحرّفوا الكلم عن مواضعه واتّبعهم من ضلّ واتّبع هواه.

يُذكر أنّ أحد العلماء من غير المسلمين أراد أن يقرأ ما جاء في القرآن الكريم، فبدأ بـ﴿الم ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ فتعجّب وقال: من هو مؤلّف هذا الكتاب الّذي يجرؤ على القول بأنّ كتابه لا خطأ فيه؟ فليأت مخلوق من أهل السّماء والأرض وليعلن بأنّ كتابه الّذي ألّفه لا عيب ولا خطأ فيه، حتّى نرى بأنّه سيُفضح في اليوم التالي إذا لم يكن في حينه! فلا يجرؤ أحد من المسلمين وغير المسلمين أن يقول بأنّ: كتابه لا خطأ فيه، ثمّ أسلم هذا العالم بعد أوّل آية قرأها؛ ليقينه بأنّ هذا الكتاب هو من عند الله، الذي تحدّى خلقه بأن يأتوا بمثله.

رحم الله الشّافعي إمام الفقه والبلاغة، مؤلّف كتاب الرّسالة، مختصر كتابه الأمّ - حيث ذكر الإمام المزني – تلميذه - قال: قرأت على الإمام الشّافعي من كتابه الرّسالة بضعًا وثمانين مرّة، فكان في كلّ مرّة يصحّح ويصوّب، حتّى قال رحمه الله ذات يوم: يأبى الله الكمال إلا لكتابه.

يقول الحق تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ فَلْيَعْلَمْ أنّ حقيقة الإيمان التّصديق ثمّ التّحقيق، وموجب الأمرين التّوفيق. والتّصديق بالعقل، والتّحقيق ببذل الجهد، في حفظ العهد، ومراعاة الحدّ. فالمؤمنون هم الذين صَدَقوا باعتقادهم ثمّ صَدَقُوا في اجتهادهم فصَدّقوا بالغيب وأحكموا التّوحيد، والغيب كل ما غاب عن حواسنا: كالإيمان بالملائكة، وحياة البرزخ، واليوم الآخر، والأرزاق المقسومة والأقدار المقدرة في أم الكتاب وفي اللّوح المحفوظ وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾[٥] ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾[٦]. ذكر الله تعالى بعض المصلّين بالسّهو فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٧] فَذمَّ المصلّين السّاهين، ولم يقلْ: فويلٌ لمقيمي الصّلاة، لأنّ إقامة الصّلاة هي الصّلاة بحضور مع إتقان أركانها وواجباتها وآدابها، وعلى مقيم الصّلاة أن لا ينسبها إلى نفسه، بل يعتقد جازمًا أنّ هذا فضل الله أجراه عليه، فلا يطمع بأن ينال أجرًا أو ثوابًا، بل يشكر الله الذي وفّقه لإقامة الصّلاة، ويطلب منه أن يديم فضله عليه، لأنّه تعالى هو من هداه إلى الصّلاة. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[٨].

قوله ﷻ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ليُعْلَمْ أنّ العمل المالي في حقّ العبد هو الإنفاقُ في سبيل الله وهو واجبٌ (كالزكاة)،

(١) سورة مريم، الآية: ١.
(٢) سورة طه، الآية: ١.
(٣) سورة النّمل، الآية: ١.
(٤) سورة الشّعراء، الآية: ١.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.
(٦) سورة الحجّ، الآية: ٣٥.
(٧) سورة الماعون، الآيات: ٤-٥.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٨.

أو هو مندوبٌ (كالصّدقات أو التوسعة على أهله وولده، وفي سائر وجوه الخير، من صدقة جارية، وبناء مسجد، وإقامة ولائم يصل بها رحمه وأقاربه... وهو من أفضل القربات). وهو من أسباب دخول الجنّات إذ هو إطعام الطّعام الذي ذُكِرَ في الأحاديث النّبويّة، فأهل الدّنيا من الذين يقدّمون الإنفاق للدّنيا على الإنفاق للدّين، قد يُقال لأحدهم ليتك تؤدّي فريضة الحجّ، فيعتذر قائلًا لا أملك ما يكفي لحجّتي، ثمّ تراه قد اشترى سيّارة فارهة، أو متاعًا من متاع الدّنيا، فهذا الإنسان لا يشمله قول الله تعالى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ لأنّ الإنفاق الّذي تؤجر عليه هو ما به انتُفع؛ ليكون ذُخرًا لك في الآخرة؛ لأنّ الرزق هو كلّ ما يمكّن الإنسان من الانتفاع به.

يقول الله تبارك وتعالى: ((يا ابنَ آدم أنفِقْ، أُنفِقْ عليك))[1]، وفي حديث آخر: ((أنفِقْ بلالٌ ولا تخْشَ مِنْ ذي العرشِ إقْلالًا))[2].

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.

ذكرت الآية صنفين من النّاس: صنف عرف الإسلام فآمن، وصنف كان على غير دين الإسلام من نصارى ويهود، ثمّ آمنوا بالإسلام، فالله تعالى يعطيهم أجرين.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يُصدّقون ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يا محمّد من الأخبار الغيبيّة، والأحكام الشرعيّة، والأسرار الربّانيّة، والعلوم اللدنّيّة، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب السّماويّة، والأخبار القدسيّة، ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي يؤمنون إيمانًا جازمًا بالبعث والحساب والرّجوع إلينا والمآب، على نعتِ ما أخبرتُ به في كتابي وأخبار أنبيائي، والإيقان هو العقيدة التي لا تحتمل الشّكّ، وهو إيمانٌ جازمٌ ويقينٌ لا يتزعزع بوجود آخرة ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فالهدى هو النّور، وهو الصّراط المستقيم. أولئك المؤمنون ركبوا مَتْنَ الهداية، واسْتَعلَوا على محَمَل العناية، فحفّتهم جيوش النّصر والرّعاية، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الظافرون بكلّ مطلوب، والنّاجون من كلّ مخوّف ومرهوب، دون من عداهم ممّن سبق له الخذلان.

أمّا **الفرق بين الفلاح والنّجاح:** فالفلاح هو الفوز بالغاية القصوى المطلوبة، أمّا النّجاح فهو الفوز بمرحلة توصلك إلى الغاية المنشودة. ومن لم يكن له إيمان ولا إيقان، فلا هداية له ولا نجاح، ولا نجاة له ولا فلاح، نسأل الله العصمة بمنّه وكرمه.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. تقويةُ الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله، والحثّ على طلب الهداية من الكتاب الكريم.

٢. الإشارة إلى أن المتّقين هم الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصّلاة، ومما رزقناهم ينفقون.

٣. مَنِ اتَّقَى واجْتَنَبَ الأَخْلاقَ السَّيِّئَةَ وقرَأَ هَذا القُرْآنَ معتمدًا على عقْلِهِ لَا هواهُ اهْتَدَى بِهِ سَواءٌ كانَ مُسْلِمًا أَمْ غيرَ مُسْلِمٍ. لقولِهِ تعَالَى: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. ولقولِه تعَالَى: ﴿يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: النّفقات، باب: فضل النفقة على الأهل، حديث رقم: ٥٣٥٢.
(٢) رواه أبو يعلى الموصليّ في مسنده، عن أبي هريرة، مسند أبي هريرة، الحديث إسناده جيّد، حديث رقم: ٦٠٤٠.

٤. قال مجاهد: أربع آيات من أوّل سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في ذمّ المنافقين، فهذه الآيات الأربع عامّة لكلّ مؤمن اتّصف بها، من عربيّ وعجميّ وكتابيّ، من إنسيّ وجنيّ، ولا تصحّ واحدة من هذه الصّفات دون الأخرى، بل كلّ واحدة لازمة للأخرى ومقترنةٌ معها، فلا يصحّ الإيمان بالغيب وإقامة الصّلاة، وإيتاء الزّكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرّسول ﷺ، وبما جاء به مَن قَبله من الرّسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أي يؤمنون بالقرآن الكريم المنزّل على سيّدنا محمّد ﷺ، وبالتوراة المنزّلة على سيّدنا موسى عليه السلام، وبالزّبور المنزّل على سيّدنا داود عليه السلام، وبالإنجيل المنزّل على سيّدنا عيسى عليه السلام مع الإيقان بالآخرة، كما أنّ هذا لا يصحّ إلا بذاك، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[1]، ولكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصيّة، ذلك أنّهم يؤمنون بما في أيديهم مفصّلًا، فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصّلًا، كان لهم على ذلك الأجر مرّتين، وأمّا غيرهم فإنّما يحصل له الإيمان بما تقدّم مجملًا كما جاء في الصّحيح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾[2]»[3].

٥. **تعريف الرّزق:** هو ما تمكّن الإنسان من الانتفاع به كالطّعام، والشّراب، واللّباس، أو أيّ نوع من أنواع الانتفاع، وكذلك ما أنفقه من صدقة على مسكين أو يتيم، أو صلة رحم: أمّا المال الذي يملكه الإنسان ثمّ يذهب عنه من غير أن ينتفع به، فلا يُسمّى رزقًا له، وكذلك المال الذي يتركه بعد وفاته -وهو إرثه- ولا يُسمّى رزقه.

الإجابة عن إشكاليّة: الله يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء

نطالع في القرآن الكريم نصوصًا كثيرة تثبت أنّ الله يهدي من يشاء ويُضلّ من يشاء، فمن طلب الهداية جعل الله في قلبه نورًا عند قراءة القرآن، ومن قرأه باحثًا عمّا يُرضي هواه، أضلّه الله وجعل القرآن عليه عمًى وضلالًا. ويُشْكِلُ فَهم هذه النّصوص على كثير من الباحثين في ضوء صورة الإيمان الحقّ بالقضاء والقدر، ويذهبون في تأويلها إلى مذاهب شتى.

فهداية الله سبحانه لعباده أو إضلالهم تقوم على أساس ترتيب النتائج وفق المسبّبات، كما دلّت على ذلك كثير من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[5]؛ حيث بيّن سبحانه وتعالى في الآية الأولى أنّ سبب إضلاله لبعض عباده هو أنّهم من الظالمين، قد يكون بظلمهم أنفسهم كونهم لم يبحثوا عن أسباب الهداية، أو وجدوها وتجاهلوها اتّباعًا لأهوائهم، وقد يكونوا قد استحقّوا البقاء في جهلهم وغيّهم بظلمهم للعباد. وبيّن في الآية الثانية أنّ سبب هدايته لبعض عباده هو رغبتهم في التعرّف إليه تعالى وطاعته وبالتالي إنابتهم إليه.

ولدى تتبُّع نصوص القرآن العظيم نلاحظ أنّه قد ورد فيها استعمال الهداية والضّلالة في المعاني التالية:

الهداية: بمعنى الدّلالة والإرشاد والتّعليم.

الضّلالة: بمعنى الجهل بالحقيقة والعمى عن طريقها.

وعلى هذا يكون الإضلال بمعنى ترك من لم يطلب الهداية في جهله، أو بمعنى الإغواء الذي يصوّر الباطل بصورة الحقّ؛

(١) سورة النّساء، الآية: ١٣٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا﴾، حديث رقم: ٤٤٨٥.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٥) سورة الشورى، الآية: ١٣.

عن طريق الموسوِسين المضلّين من الإنس والجنّ.

ويشهد لذلك نصوص كثيرة، منها: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الۡكِتَابُ لَا رَيۡبَ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾، فكون القرآن هدى للمتّقين، جاء بمعنى الدّلالة والإرشاد والتّعليم لمن يطلبون الهداية، الّذين يتحقّقون بالنّواة الأولى للتّقوى، وهو إرادة اجتناب كلّ ما ينهى الله عنه، وامتثال كلّ ما يأمر الله به.

عقيدتنا بخصوص الأحرف المقطّعة في بداية السّور: الأحرف المقطّعة في بداية السّور هي من الآيات المتشابهات ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[1] وهنا نقف في القراءة على لفظ الجلالة "**الله**" ثمّ نستأنف القراءة بمعنى جديد، وهي آيات نؤمن بها تتضمّن معانيَ عظيمة وأسرارًا مهمّة، ولكنّنا نفوّض معناها إلى الله تعالى ولا نخوض في ذلك بعقولنا. وقد يختصّ الله تعالى بعض أوليائه فيفتح عليهم ببعض علوم وأسرار هذه الحروف.

الإيمان بالغيب من أولى صفات المؤمنين: إيمان شامل كامل بالغيب، وهو كلّ ما غاب علمه عنهم، كذات الله تعالى وملائكته مع إنّنا لا نراهم، والإيمان بِرُسُلِهِ، واليوم الآخر، والدّار الآخرة، وعذاب القبر ونعيمه والجنّة والنّار، ممّا أخبر عنه القرآن العظيم وأرشد إليه الدّليل السّليم، والإيمان مقرون بالعمل الصّالح: وهو إقامة الصّلاة المفروضة، والإنفاق في سبيل الله في نشر هذا الدّين الحنيف، والتخلُّق بالأخلاق المحمّديّة، وعونُ الفقراءِ والمساكين، وصدقةُ التّطوع، والنّفقةُ الواجبة على الأهل والولد وذي القربى.

ولا يتجزّأ الإيمان فهو وحدة كليّة بما أنزل الله، فلا بدّ من الإيمان التّفصيليّ بكلّ ما أنزله الله تعالى في القرآن، والإيمان الإجمالي بالكتب والصّحف السّماوية السّابقة كصُحُفِ النّبيّ إبراهيم والنّبيّ شيث، هذا مع العلم بأنّه لا يُعتَدّ بما دون اليقين في الإيمان، أي لا يُقبل إيمان المشكّك ولو كانت نسبة الشّكّ عنده واحد بالمائة.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- التّقوى: أن تترك ما يحبّه هواك ممّا نهاك عنه مولاك، إيثارًا لحبّه ورضاه، مُجَدِّدًا أمرًا في حياتك ترى أنّك تقدِّم فيه هوى نفسك على شرع الله سبحانه وتتراجَعُ عنه مستغفرًا ربّك: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَابُ لَا رَيۡبَ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.
- حاسب نفسك في أمر الصّلاة، هل تقيم الصّلاة بحضور وخشوع أو أنّك فقط تصلّي لتسقط عنك الفريضة؟ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. راجع تفسير سورة الفاتحة وكيف تتدبّر معانيَها في الصّلاة.
- اختبر إيمانك باليوم الآخر ويقينك به بالإنفاق اليوميّ من مال الله الذي آتاك، موقنًا أنّ الله تعالى سيخلفه عليك في الدّنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

في الأخلاق والآداب

بيان فضيلة التّقوى وأهلها، وأنّها من أهمّ الأخلاق المحمّديّة. فالصّيام من التّقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١) والوقاية هي أن تجعل بينك وبين ما تكرهه حاجزًا، فالمتّقون على الحقيقة يجتنبون أنفسهم الشّقاء في الدّنيا والآخرة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾(٢)، فتكون التقوى بالامتثال لأوامر الله والخوف من عصيانه، والتّصديق بأسمائه الحسنى، والإيمان بالغيب، والإيمان بالقضاء والقدر، الذي يجنّب الإنسان الكثير من وساوس الشّيطان.

دعوة المؤمنين وترغيبهم بالاتّصاف بصفات أهل الهداية والفلاح، ليسلكوا سلوكهم فيهتدوا ويفلحوا في دنياهم وأخراهم.

وأرشدت الآيات إلى أنّ التّقوى على مرحلتين: **اجتناب المحرّمات**: وهو اتّقاءُ نارِ الدُّنيا ونار الآخرة، **وتقوى الله**: وهو تجنّب ما يُغضب الله والخوف من أن يراه حيث نهاه، لا خوفًا من النّار ولا طمعًا بالجنّة وهذا المنهج هو منهج أهل التّقوى والورع والكُمَّلِ من المؤمنين، فمن اتّقى الله جعل الله وقاية له من كلّ شيء، حتى ينال رضا الله وقربَهُ، فإذا فاز برضاه أكرمه الله بسعادة الدّارين، ونَيْل الجنّتين: جنّة معجّلة وجنّة مؤجّلة، كما أشارت إليه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾(٣).

التّقوى فيها جماع الخير كلّه، وهي وصيّة الله في الأوّلين والآخرين، وهي خير ما يتزوّد به الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٤)، فلا فضل لعربيّ على أعجميّ إلّا بالتّقوى.

الحكمة: وهو ما قاله ابن عطاء الله السكندريّ رحمه الله تعالى في حِكَمِهِ عَلِمَ قلّةَ نهوض العباد إلى معاملته، فأوجب عليهم وجود طاعته، فساقهم إليه بسلاسل الإيجاب. عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنّة بالسلاسل؛ بُنِيَت هذه الحكمة على حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النّبيّ ﷺ قَالَ: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يدخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ»(٥).

التوجيهات:

- من أسباب حصول الهداية بالقرآن تقوى الله تعالى، وأن تُقَدِّمَ دائمًا مراد الله على هوى نفسك، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾(٦).
- سعادتك بالفلاح، والفلاح لا يناله إلا من اتّصف بهذه الصفات:، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.
- من أهمّ صفات المؤمنين: ثباتهم على إيمانهم في حال الغيب، وحال الشهادة، ومراقبتهم لله على كلّ الأحوال، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾.
- المطلوب هو الفلاح لا مجرّد النّجاح، فإنّ الفلاح هو الفوز بالغاية المقصودة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣. (٢) سورة طه، الآية: ١٢٤. (٣) سورة الرّحمن، الآية: ٤٦. (٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٥) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الجِهاد والسّيَر، باب: الأسارى في السلاسل، حديث رقم ٣٠١٠.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

في السّيرة والشّمائل

سعة علومه ﷺ التي أفاضها الله تعالى عليه. ومن ذلك: علمه ﷺ بخصائص السّور، كما يدلّ على ذلك ما ورد في سورة يس، وأنّها قلب القرآن، وأنّ لها الخصائص الكثيرة، وسورة الدّخان، وأنّ من قرأها في ليلةٍ أصبح مغفورًا له، وسورة تبارك، ووقايتها من عذاب القبر، وسورة البقرة وبركاتها، وغير ذلك ممّا ثبت في الأحاديث النبويّة فإنّ ذلك يدلّنا على أنّ له ﷺ علمًا كبيرًا واسعًا بخصائص الحروف القرآنيّة والآيات والسّور.

في السّلوك

الإشارة: الأَلِف من بين سائر الحروف انفردت عن أشكالها، بأنّها لا تتّصل بحرف في الخطّ وسائر الحروف يتّصل بها إلا حروف يسيرة، إشارة ليتنبّه العبد عند تأمّل هذه الصّفة إلى احتياج الخلق بجملتهم إليه، واستغنائه تعالى عن جميع خلقه.

ويقال: يتذكّر العبد المخلص مِنْ حالة الألف تَقَدُّسَ الحقّ سبحانه وتعالى عن التّخصّص بالمكان؛ فإنّ سائر الحروف لها محلّ من الحَلْقِ أو الشّفة أو اللّسان إلى غيرها من المخارج غير الألف فإنّها هويّته، لا تضاف إلى محلّ. فعند خروج الحرف تُضاف أَلِفٌ قَبْلَهُ، فمثلًا مخرج حرف الواو - أو - من الشّفتين، فالصّائم يُفطر إذا دخل شيء إلى جوفه أي إذا وصل شيء إلى مخرج إح- الحاء-وعلى قول: إذا وصل شيء إلى مخرج إخ - الخاء- والخاء مخرجها قبل الحاء، وجميع الحروف العربيّة لها مخرج، مثال: إف، إن... والهاء أوّل الحروف مخرجًا - إه- أمّا الواو فهي آخر الحروف مخرجًا- هو- قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ...﴾[1] أمّا الألف فلا مخرج لها إلّا إن كانت موصولةً بحرف، إشارة إلى أنّ الله لا يحويه زمان ولا مكان، ولا يُحيط به مخلوقٌ ولا إنسان.

ويقال الإشارة منها إلى انفراد العبد لله سبحانه وتعالى فيكون كالألف لا يتّصل بحرف، ولا يزول عن حالة الاستقامة والانتصاب بين يديه.

ويقال يطالب العبد في سرّه عند مخاطبته بالألف بانفراد القلب إلى الله تعالى، وعند مخاطبته باللام بلين جانبه في مُراعاة حقّه، وعند سماع الميم بموافقة أمره فيما يكلّفه. هو خطاب الله تعالى لعباده يوقعه في قلبهم.

ويقال اختصّ كلّ حرف بصيغة مخصوصة وانفردت الألف باستواء القامة، والتميّز عن الاتّصال بشيء من أضرابها من الحروف، فجعل لها صدر الكتاب، إشارة إلى أنّ من تجرَّد عن الاتصال بالأمثال والأشغال حَظِيَ بالرُّتْبة العليا، وفاز بالدّرجة القصوى، وصلح للتّخاطب بالحروف المنفردة التي هي غير مركّبة، على سنّة الأحباب في ستر الحال، مع إخفاء الأمر على الأجنبيّ. ويُقال تكثر العبارات للعموم، والرّموز والإشارات للخصوص. قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، واخْتُصِرَ لِي الحديثُ اخْتِصارًا»[2].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، عن عمر بن الخطاب، كتاب: حبّ النّبيّ ﷺ، باب: فصل في بيان النّبيّ ﷺ، حديث رقم: ١٤٣٦.

﴿... وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ...﴾

وأمّا إقامة الصّلاة، فهي الصّلاة بحضور وخشوع، فالقيام بأركانها وسننها ثمّ الغَيبةُ عن شهودها برؤية مَنْ يُصَلَّى له، فيحفظ عليه أحكام الأمر بما يجري عليه منه، وهو عن ملاحظتها مُتَحَقِّقٌ بالمحو عن غيرها، فنفوسهم مستقبلة القِبْلة، وقلوبهم مستغرقة في حقائق الوِصلة. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾

الإشارة: قلت: كأنّ الآية الأولى في الواصلين، والثّانية في السّائرين، لأنّ الأوّلين وصفهم بالإنفاق من سعة علومهم، وهؤلاء وصفهم بالتّصديق في قلوبهم، فإن داوموا على السّير كانوا مفلحين فائزين بما فاز به الأوّلون.

فأهل الآية الثّالثة من أهل الشّهود والعيان، وأهل الرّابعة من أهل التّصديق والإيمان. أهل الثّالثة ذاقوا طعم الخصوصيّة، فقاموا بشهود الربوبيّة وآداب العبوديّة، وأهل الرّابعة صدّقوا بنزول الخصوصيّة ودوامها، واستنشقوا شيئًا من روائح أسرارها وعلومها، فهم يوقنون بوجود الحقيقة، عالمون برسوم الطّريقة، فلا جرم أنّهم على الجادّة وطريق الهداية، وهم مفلحون بالوصول إلى عين العناية. دون الفرقة الثّالثة التي هي بالإنكار موسومة، ومن نيل العناية محرومة.

في الإعجاز العلميّ

س لماذا يستحيلُ أن يكونَ سَيِّدُنا مُحمَّدٌ ﷺ هو من ألَّفَ القُرآنَ؟

ج إنّ أسلوب القرآن يُخالِف مخالفةً تامّةً أسلوبَ كلامِ العرَب الفُصَحاء في طريقة التّعبير وفي تنوّع الموضوعات، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1] فنظرةُ القرآن كاملة شاملة متناسقة للكون والحياة والفِكْر والمعاملات والحروب والزّواج والعبادات والاقتصاد، ولو كان القرآن من تأليف وصنع مُحَمَّدٍ ﷺ الأُمّيّ الذي لم يتعَلَّم الكتابة ولا القراءة لما كان مُحَمَّدٌ ﷺ بشرًا.

إنّ هذه التّنظيمات وهذه التّشريعات والآراء تَعجَزُ عن القيام بها لِجانٌ ومؤسسات علميّةٌ كثيرةٌ مُتَخصِّصَةٌ ولو أتيح لها المراجع والدّراسات والوقت فَرَجُلٌ واحِدٌ أيًّا كانت عَبْقريتُه وأيًّا كانت ثقافَتُهُ ليعجز عن أن يأتي بتنظيم في مسألةٍ واحِدةٍ من هذه المسائل، فما بالك بكلّها مع تنوّعها وتلوّن اتّجاهاتها؟ وهل يتسَنَّى لِلأمّيّ أن يأتي بهذه النظرة الشّاملة في الدّين والكون والحياة والفكر والدولة والقانون؟ ثمّ لماذا يُؤَلف مُحَمَّد ﷺ القرآن وينسبُهُ لغيرِه؟

القرآن الكريم كتاب يزيد عن ستمائة صفحة، غطّى مجموعة واسعة من الموضوعات، جاءَ بالكشف عنها ووضع منهاجًا وتشريعًا، على مدار ثلاثة وعشرين عامًا، لو بقيت البشرية وهذا العالم مليارات السِّنين لبقي هذا المنهاج وهذا التشريع صالحًا لذلك، فلو كتب القرآنَ الكريمَ إنسانٌ، لواجهته عدَّةُ مشاكل.

إذا أردت أن تكتب كتابًا مثل القرآن وتدّعي أنّه من عند الله، فممنوع أن تخطئ، وممنوع أن يناقض الكتاب نفسه، وعليك أن تحافظ عليه متّسقًا كلّما أضفت إليه شيئًا على مدار ثلاثة وعشرين عامًا، أن تحافظ على اتّساق الأسلوب والمفاهيم والقواعد كما هي فمن يستطيع ذلك غير الله تعالى. لو لم يكن القرآن الكريم من عند الله تعالى، لكان على سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ أن يكتبه بنفسه، وهو في وسط الصَّحراء العربيَّة الخالية من الكتب، ورغم أنّه أُمّيّ كان عليه أن يعرف:

(١) سورة النّساء، الآية: ٨٢.

- **القوانينَ كلَّها:** "قانونَ الحقوقِ المدنيّةِ، القانونَ الجنائي، قانونَ الأسرةِ، قانونَ العمل، القانونَ العسكريّ، قانونَ الأحوال الشّخصيّة، قانونَ العقارات، قانونَ الضّرائب".
- **التّاريخَ والقِصَصَ، والأحداثَ، وسِيَرَ الأنبياءِ مِنْ قبلِهِ، وتاريخَ الدُّولِ السّابِقةِ، والأحكامَ الدّينيةَ اليهوديّةَ والمسيحيّةَ.** وسيتعيّنُ عَليه أن يَعرِفَ كُلَّ ذلكَ جَيدًا، من أجْلِ تقديمِ معلوماتٍ إضافيّةٍ، وتفاصيلَ غَيرِ موجودَةٍ في تلك الكتُبِ.
- **العلومَ المذكورةَ في القرآن:** كيف يُطوّرُ الأمَّةَ، وكيف يُنْشِئُ حُكومَةً، وأن يكون عِندَهُ عِلمٌ بالعباداتِ، وأن يضع وصفات صحيحةً لِأنْفعِ حِمْيَةٍ غِذائيّةٍ، وأن يُلِمَّ بِعِلْمِ النَّفس وتربية الأطفال، والتَّحكيم وتوزيع الثّروة والتَّمويل والعمل، وفي العلوم يجب أن تتوفّر له معرفة بعلم الأجِنَّةِ، وعِلْمِ المُحيطاتِ، وتَشْكيلِ الصَّفائحِ التَّكتونيَّةِ، والأشِعَّةِ فَوق البَنَفْسَجِيَّةِ، ومَعْرِفَةٍ دَقيقَةٍ: بالنَّباتاتِ، والجبالِ، والنَّحلِ، والدِّماغِ البشري، والانفجار العظيم، وتوسُّعِ الكَوْن. ولكي يكتمل الكتابُ، يجب أن تكونَ لَديهِ مَعرفةٌ بالمستقبلِ حتَّى يتمكنَ من كِتابةِ الأشياءِ التي سوف تَحدُثُ في السَّنواتِ القادمةِ، ويجبُ أن تتوفَّرَ له القُدرةُ على السَّفرِ عَبرَ الزَّمن لِيدخُلَ اسمه وذِكرُهُ في الكتب السّابقة. إذا كان يدَّعي أنَّ الكتاب الذي كتبه هو من عند الله، فعليه أن يبقيَ عواطِفَهُ وحياتَهُ الشَّخصيَّةَ خارج الكتاب، بحيثُ لا يَعْكِسُ الكتابُ الأوقاتَ السَّعيدةَ ولا الأوقاتَ الحزينةَ في حياتِهِ، كما ينبغي أن تكون الكتابَةُ متوازنةً، فلا هي مبتهجةٌ ومتفائلةٌ، ولا كئيبةٌ ومتشائمةٌ تبعًا لِمَزاج الذي كَتبَها.

لكنّكَ عندما تقرأُ القرآنَ من الغِلافِ إلى الغلافِ لا تُحِسُّ بِمَوتِ زَوجتِهِ، ولا مَتَى تَزَوَّجَتْ بناتهُ، ولا مَتَى وُلِدَ أحفادُهُ، أو مَتَى انْتصرَ ومَتَى هُزِمَ، يَتَّضِحُ تمامًا لِكُلِّ مَن يتَفَحَّصُ القرآنَ الكريمَ أنَّه لا تُوجَدُ وسيلةٌ قادرةٌ على أن تُمَكِّنَ رَجُلًا عاشَ في الصَّحراءِ قبل أربعمائة وألف عام أن يَكتُبَ مِثلَ هذا الكتاب المعجزة الخالدة.

س ماذا لو كانت هناك لجنةٌ من العُقُولِ الذَّكيةِ في جَمْعِيَّةٍ سِرِيَّةٍ تَقُومُ بِتَصْحيحِ القرآنِ وتَحْديثِهِ، وإعادَةِ كِتابَتِهِ على مرِّ السِّنين، مهمتهم التَّأكد من أنّ الكتاب يبدو دقيقًا، ولا توجد فيه أخطاء أو تناقضات وهم مستمرّون في تحديثه ليتوافق مع العلم، ومع العالم المتغيّر؟

ج إذا كان هذا هو الحالَ، ستكون هناك إذن عِدَّةَ إصداراتٍ مُختلفةً من القرآنِ بسبب التَّعديلاتِ والتَّحسيناتِ على مَرِّ الزّمانِ، فسيكونُ لدينا إصداراتٌ جديدةٌ منقَّحةٌ وإصداراتٌ قديمةٌ بها أخطاء وانحرافات، وسنكونُ قادرين على اكتشافِ أنْماطَ وتأثيراتِ الكتابَةِ المُخْتَلفَةِ من المؤلّفين المختلفين، إذن الإعجاز في كُلِّ ذلك هو وجودُ قرآنٍ واحدٍ لم يكتُبْهُ رَجُلٌ واحِدٌ، ولم تَقُمْ لَجنَةٌ بتحريرِهِ، فَمِن أينَ أتَى؟

س ماذا لو كانت مجموعة من الشَّياطين الأذكياء أثّرت على الرَّجُلِ وأمْلَتْ عَليهِ أن يَكتُبَ القرآن؟

ج سيكون السُّؤال إذَنْ ما هو نَوعُ تلك الشَّياطين، الَّذين يَدْعون إلى عِبادةِ الله الواحدِ وطاعَتِهِ واتّباعِ أنبيائِه، وإلى حُسْنِ السُّلوك ومكارِمِ الأخلاقِ وتَركِ الرَّذائِلِ، بل ويُحَذِّرُ مِن الشّيطانِ نَفسه بكلّ الطُّرقِ والوسائل، النتيجةُ إذَن واضِحةٌ: لا يُمكنُ أن يكونَ القرآنُ قد كُتِبَ مِن قِبلِ لجْنَةٍ، ولا شَيْطانٍ، ولا النّبيّ مُحَمَّد ﷺ، ومستحيلٌ أن يَكتُبَه مَخْلُوقٌ مهما كانَ عَبْقريًّا.

وهذا إذَن يعني أنَّهُ حقًّا من عِندِ الله تعالى. فإنْ كان من عند الله وكُلُّ ما فيه صحيح - لا ريب فيه-، فهذا يعني أنَّ مَنْ نَزَلَ عَليهِ الوَحْيُ والذي تَلَقّى هذا القرآن هو نَبيٌّ حَقِيقيٌّ صادِقٌ، لذا ينبغي أنْ نُؤمِنَ برِسالَتِهِ وأنْ نُطِيعَهُ.

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

آياتُ الرُّقيةِ لصرفِ الأذى من الجِنّ:

- **سورةُ الفاتحةِ**
- ﴿الٓمٓ* ذَٰلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ*أُولَٰئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[1]
- ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لا إِلَٰهَ إِلّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ* إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].
- **آيَةُ الكُرسِيّ:** ﴿اللهُ لا إِلَٰهَ إِلّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾[3]

  تُكَرَّرُ آيَةُ الكرسِيّ سبع مرّاتٍ في كُلِّ مَرَّةٍ تكرَّرُ ﴿وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾ (اثنتا عشرة مرّة)
- ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ*لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾[4].

(١) سورة البقرة، الآيات: ١-٥. (٢) سورة البقرة، الآيات: ١٦٣- ١٦٤. (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥. (٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥-٢٨٦.